





جثث في ثياب الخروج



عبدالله الناصر



جثث في ثياب الخروج
شعر

دار الفارابي

الكتاب: جثث في ثياب الخروج
المؤلف: عبدالله الناصر
لوحة الغلاف: فاطمة المحسن

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان
ت: (01)301461 - فاكس: (01)307775
ص.ب: 11/3181 - الرمز البريدي: 1107 2130
e-mail: info@dar-alfarabi.com
www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2012
ISBN: 978-9953-71-787-6

© جميع الحقوق محفوظة

امشي حافية كي تدب الطمانينة
في عروق الرخام!!

كرسي، ورائحةُ قهوة،
وعيناكِ
كلّ ما يلزم لدخولِ الجنة

عيناكِ تكفيان
لأغفوَ الآن على الورق

مبلاًّ حبري بندى غامض
قيل إنه دمعُ ياقتي التي عدلتُ ثنيتها أصابعك في
الغيب

حين أراك للمرّة الأولى
لا تضعي الكثير من الكحل والظل
ذلك أنني أشكّ في قدرتي على رؤية الأشياء كما
هي من المرّة الأولى
خصوصاً إذا كانت هذه الأشياء باهظةً
ومليئةً بالتفاصيل
مثل عينيك

يكفي أن تقولي إنك تبرّجتِ
لأصدّقك
واتركي زينةَ عينيك للمرّة القادمة

ارفعي جفنك برفق كي يلج ضوءُ عينيك روعي
بهدوء
دعي الشعاع يعالجُ ندمي وعظامي

جثث في ثياب الخروج

واتركيه دافئاً وضاماً كي يرتقَ ثقبَ عيني،
ويصحّ حدّة شغفي بالورد

حين أراك للمرّة الأولى

ارتدي قميصاً داكناً

لأستطيع تمييزَ الظل الذي سيتركه جسدك في
الغرفة

ولأنني لن أستطيع تمييزَ بياضك من بياضِ
الأقمشة

والملاك الذي يحرسُ ظهرك

أيضاً

ارتدي حذاءً واطناً
لأصغي إلى الحداثق والظلال التي تتبع مشيتك
أو امشي حافيةً
كي تدبّ الطمأنينة في عروق الرخام

ودعي الكعب العالي الذي يخاصر قدمك بشغفٍ
ليطعن روعي بموسيقاه في المرّة القادمة

فكما قلت
أحتاج في المرّة الأولى
إلى هدوءٍ وعمّةٍ وظلال
كي أصدّق أنك معي
ولأنني سأحدّق فيك طويلاً ببلاهة العشاق
دون أن أرى شيئاً واحداً

جثث في ثياب الخروج

شيئاً واحداً أستطيعُ أن اذهبَ به معي إلى البيتِ
كطفلٍ
وأحلمَ به

لا تسأليني إذاً
من المرّة الأولى
عن عينيكِ

واسأليني مثلاً
عن الظلّ والعطرِ والهدوءِ الذي سكبته بغزارة
على الكنباتِ والوسائد

اسأليني عن درجة حرارة الغرفة
وعن درجة حرارة أصابعي
ولونِ وجهي

جنت في ثياب الخروج

والجنّيات اللاتي كن يمسّدن حجرات القلب

والقهوة الباردة

والملاك الذي مرّ بي

ولفني بجناح نوره

دون أن أراه

مأتم

بمخمل روحك القاني
أدعك الزجاج طويلاً
كي أبصر المأتم
شاحداً سكين الملكة بمبرد الندم
كي تمرّ خطفاً
وتريح الذبيح

أنشغل بالمزيد من خيوط عينيك
لأحوك سماء كابية
وقمراً يذرف على يدي الرأفة
ونخلة برأسٍ مقطوع

جنت في ثياب الخروج

وبدأبِ سجينِ أبدِي
أشرعُ في حفرِ نفقِ طويل
مهتدياً سنواتٍ ببياضِ يديك
ومتشَمِّماً نورَ أظفارك

.....

أظفاركِ التي ستخرجني
من القبرِ يوماً
جثةً عمياء

جثث في ثياب الخروج

صوتك الذي

صوتك

وردة تستلقي على الماء
قلادة الشفق في ليلتي الأخيرة
ولكنة الغيم المتشقق
في سماء الغريب

تهمسين

فتتهادى أسراب القطا
وتُفرد ريشها فوق حافة الماء
ويسيل العسل على طرقات الروح

صوتك تعويذتي في سماء الخوف

والكتابُ المسمومُ الذي أقرأ بلهفةٍ
كي يتسرَّب الموتُ إلى قلبِ العاشقِ
وعلى شفتيه ابتسامة الزهو

صوتك الذي يتهاذى بغموضٍ كحجرٍ نَرَدُ
النحيلُ الذي ينبضُ في يدي كقلبٍ عصفور
ويتلوى في الغرفة بأنفةٍ بخورٍ باهظ

صوتك الطريِّ كنهْدٍ كاعبٍ في الجنة
المبحوحِ كأنفاسِ طفلةٍ لم تترك حلمةَ الحنين
المخملِيّ الذي يتهاذى على رخامٍ جرحي
كحفيفِ ثوبٍ غانية
المطريِّ الذي تنبتُ فوقه الخزامى
وتشمُّه جنياثُ الحلم بنهمٍ جارف

جثث في ثياب الخروج

صوتك الذي انسكب ببذخٍ فوق قميصي
وبلل نبيذه المشعُّ ضلوعي العارية

صوتك الذي يتسكَّعُ كمطرٍ في العتمة
باحثاً عن طريدةٍ
أو قلبٍ
لا يلبث أن يسقط في ظلكِ
الذي لا ظل إلا ظله

صوتك الذي قدَّ روعي من دبر
تركني
أجفَّ الحنينُ فوق حباله
طوال الليل
قبل أن تمرَّ ضحكتك فوقِي
وتمطر

مياه

إذ أيقظته المياه في رأسه
انتبه

خَرَقَ الوسائد التي في البيت
خرق الأسرّة والبحر

خرق روحه أيضاً
ليغرق أهلها
وينام.

بعد سنواتٍ
في الليل

جثث في ثياب الخروج

قدّمتْ له امرأةٌ لا يعرفها
شايًا دافئًا وحيّته

مياهٌ غامضةٌ مشّتْ في عينيها
فجأةً إذ ابتسمتْ

فجأةً لمح أثاثًا مبللًا

وجثثًا طافحةً

قبل أن تهرب.

كان سيخرقُ عينيها بقسوةٍ
لو لم تفتن

جنت في ثياب الخروج

أقلقتهُ فكرةُ ظهورهم
في مياهٍ لا يعرفها

ولا يستطيعُ التسللَ إليها
في الليل.

جثث في ثياب الخروج

شفاء

التي التوى كاحلها
ناديتها،

وقلتُ لكِ العين:

مياهي التي تملأُ طينةَ العين
كبريتيةً وتشفى

لم لا تهبطينَ سريعاً برجليكِ
حتى تعكري للحظةٍ
زجاجَ العين

جثث في ثياب الخروج

ثم أهوي سحيقاً في جرف،

بينما ولأيام:

ماسحات زجاج السيارة

تدعك الزجاج النظيف

جثث في ثياب الخروج

لو أن

العذقُ المحدودُ

الهاجِعُ أسفلَ غيمة

العذقُ الذي أجاَه التمرُ إلى ليلٍ

وأصابعَ مقطوعةٍ

فضاجعةُ الغبار

العذقُ الذي قصّوا سلالمه الناتئة

أوانَ الخَراف

جثث في ثياب الخروج

مدمىً بالدبس الحالك

مكتظاً في الأعلى

يتنفسُ في عسافيرٍ
تنقرُهُ في الفجرِ وتروح

لو أن غيمةً تسَلَّ غباره

أو يداً بجناح
لا تصعر أصابعها!

لو أن.....

المرأة التي تتقن البحر

المرأة التي تسللت إلى البهو بكامل طرائدها
تاركةً الملكَ وبلاطه مكبلينَ بالعدوبة
ومخدرين بوهج الملائكة.

المرأة التي توجهت بخفةٍ إلى الغابة
وقطعت بضربةٍ واحدةٍ شجرةَ النسيان،
جعلتني أمشي هذا الصباح مرتدياً وجهها في
الشوارع
تاركاً نادلةً المقهى مذهولةً من عيني الطافحتين
بالأنوثة!

المرأة التي تتقن السماء والبحر

جنت في ثياب الخروج

كانت تشعلُ بخورَ الغاباتِ الكثَّةِ بإصبعِ نحيلة
تاركةً أرتالاً من سفني الضائعة تهتدي بطيبتها
وتؤوبُ إلى اليابسة.

المرأة التي سقطت فوقي من سماءٍ سابعة
كيف لا تريدني أن أنكسرَ
وكيف لزجاجةٍ روي
ألا تخذشها ماستها الهائلة؟

الندى

يومَ أغمي على المصابيح
وقاءت سائلاً أسودَ
ارتطم بالحي
عرفوا فجأةً أصابعهم
وأنسوا بها الجُدُر
لكنهم ضلّوا في العتمة الطريقَ إلى غرفهم
وارتطموا بظلالٍ
لم تتبعهم.

حين اضطجعوا
أنكرتهم المضاجعُ
ولم تقوَ خفّتهم.

ناسٌ ثَقِيلُونَ من ماءِ أحلام
إذ كَفَّتْ أصدَاغُهُم عن الندى
رَفَّتْ وسائدهم
والسماءُ اتكَّأَتْ على الأسطح.

السماءُ التي منذ عُمُرٍ خاليةٌ
وينهرُ يدها
ريشٌ في البطائن،
كيف تَسَعُ بغتةً:

وسائدَ فارّةٍ
ونوافذَ مخلّعةٍ
وحرساً مجندين؟

جثث في ثياب الخروج

صلاة

مثلي

نسيت أيضاً

أن تمرّ المياه

ثم لم يكُ ممكناً

أن نخرق الصفوفَ

بعيون غضةٍ

عائدين.

القلبُ أخفى الماء

وعيوننا تصعدُ الآن

جَنَّتْ فِي ثِيَابِ الْخُرُوجِ

مِثْلَ صَلَاةٍ

لَنْ تَقْبَلَ.

ذئب

والغاً في ذئبٍ ، يصعدُ القلبُ مجرى الهواء.
يخضرُ في لحظةٍ يسيلُ على ثيابي مثل ثمرةٍ
فجّةٍ
روّعها ظلُ أصابعٍ غريبةٍ حتى صارت تواءً
حامضة.

حامضاً يثبُ القلبُ من فمي مثل زجاجةٍ حارقةٍ
في الوجه تنفجرُ حتى حبيباتي ينفلشن زجاجاً
مجروشاً على الأسفلت.

كيف انفلتتُ مثل ذئبٍ في شارعٍ ، فجأةً ، عرقه
صار جارحاً مثل أسيدٍ ونهشَ حباله؟

يلهتُ الآن، يفرط أنفاساً خشنةً ويسفكُ الهواء،
يسمَعُ ارتطاماتٍ خلفه وشهقاتٍ خلفها مروره
بينما يلجُ شارعاً أعزل ليقىء محروقاً زجاجة
قلبه، ماشياً بعدها على كسر الزجاج الملوّث
بحبيباته

وشايه قبل أن يخرقَ جسدَ المدينة صاعداً
بقدمين تضيئان شرفة امرأةٍ نامت عن غسلها،

ليعوي.

جثث في ثياب الخروج

أبد

التي تحلمُ بي البارحة
سقطتُ على العتبةِ
وابتلعت المفاتيح.

لذاك
لا أحد يفتحُ لي
وأموت

عيار

كم أتعبتني أصابعك.
سأنامُ الآن
أديرُ ظهري لطلقةٍ تتقبني سنينَ سنين
ولا تتعب.

تأتينَ بعد قليلٍ
والتفتُ
ربما لتُحكي وجهك خلفي تماماً

سينوسُ قفائي
ويصبحُ مبلاً في عينيك

جنت في ثياب الخروج

تَكَّة

أَغْمَضُ

ثم ظلكِ خالفي يطيش

مدرک الركعة الأخيرة

مُدرکُ الركعة الأخيرة

هوى في نصفه

طوال عينه

لم يكمل امرأة

ولا ندى

غرفته الشمالية،

روحه أيضاً

مسودة لا تنقحها النساء

كتبه تنام ناقصة

جثث في ثياب الخروج

في الربع الأخير

سجائره تُدعك في الأوج

برتقاله جُلطة في كأسه

شايه أنية فطرٍ وأبواغ

وردة حبيبته في الثلاجة

تجمدت بالأمس

علب الكولا،

غرف قلبه أيضاً

مفتوحة ومهجورة

جنت في ثياب الخروج

بقيةُ صحنه
طرفهُ الوالدة،
ولا مبرّر لثيابه في الغسيل

صادف أن حكت الأم
عن بركةٍ آخر القصعة

حين في الصبح
ظلّ نائماً
وهي بلا أصابع

جثث في ثياب الخروج

غنائم

هل كنتَ طوال القلب

تجمعُ أحلاماً حامضةً

ووسائدَ بمخالب

وزبيباً مدهوساً

ونعناعاً متوحّشاً:

لأنه لا يُسمع لقدميها صوتٌ

على ورقِ الخريف!

جدارٌ طوال الليل

على الجبل:
جرّافاتٌ جمدتُ مخالبيها
فجأةً في الهواء
وعلبة شفقٍ سقطتُ
من سقالة

بينما وحده الجدارُ
معصوباً يتهياً.....

العمال الذين نزلوا للغداء
اختفوا منذ ساعات
هل خطفهم النعاسُ في ظُلةٍ إلى الليل

جثث في ثياب الخروج

أم الجرّافاتُ ترتاحُ
تخلّعتُ أسنانها من كرز الجبل؟

العمال الذين اختفوا فجأةً

.....

كيف ينسون جداراً
في الليل
أسماء حبيباتنا عليه خائفةٌ
تموتُ من البرد؟

يلزم تضميدها أولاً

غرفةٌ وحيدةٌ في فندق
غرفةٌ في الجناح الشرقي
تعني أثاثاً مع كمانِ الظلمة
ينخرطُ في الحنين،
يجرحهُ غيابٌ بذقنٍ مهمل:
كيف يجعلُ ثريّاتٍ
مغلولةً إلى عنقها، عرضة للظل؟

غرفةٌ وحيدةٌ في فندق
يلزم تضميدها أولاً

إذ:

* خشبٌ

جثث في ثياب الخروج

لم يدفن وجهه في ثياب سيزرق
ربما تسقط شهقته
مع وقع أقدام في الممر، ويسجد

* مشجب خرقوا كتفه

لم يظفر بريح
أو يمسح أذى ياقة

* ساجيد يابسة تتفصد انتظاراتها

وتشخص

- ربما مواطئ وسخة

لو داست وبرها

كان هدأ -

* زحام شمويس زنخة

جنت في ثياب الخروج

وفطر ينهش نظراتٍ
على حديد الشرفة

* زجاجٌ
سيقضمُّ أوَّلَ إصبعٍ
تمسحه

مثل ما لم يُمسّ،
تتعب كثيراً
يلزم تضميدها أولاً

..... غرفةٌ وحيدةٌ في فندق

جثث في ثياب الخروج

صيد

مربوطين إلى مياه ينساها الليل،

ونحن ندلي شباكنا
منتظرين لمعة الروح

ليس الصمتُ إلا صائدةً بعوضٍ
ستفرقع

كلما اصطدنا نجمةً
هوى على أقفيتنا العالم!

الرجل الذي له رائحة التفاح

صار لهذا الرجل رائحة.

الرجل الذي كان له رائحة التفاح
ويضحك مثل بحر.

الرجل الذي يرش ممرات المشفى
ووجوهنا بالبحر.

الرجل الذي يحمل تفاحته الحمراء
بشكل دائم وغامض.

قليل إن امرأة ذات شعرٍ حالكٍ

جثث في ثياب الخروج

سقطت في دمه

بعدها صارت له رائحةً
وصار لا ينام في مكانٍ
مع قلبه.

آن ينام الآن
يفتح صدره،
يخرج بقجةً
ينغش فيها دودٌ عظيم.

يراقبُ الدودَ كلَّ ليلةٍ
ولا يستطيعُ إدراكَ الرجلَ المحمولِ مثلَ مقانقٍ
ولا النسوة اللائِي يُنقلنَ ليلاً
مخدّرات

هاتف

كل مساء

مع تكة الفتح

يسقطُ قلبي مثل كمثرى
أمامي على رخام المدخل.

بضربةٍ واحدةٍ ينفلق
تحت سيف ساحرٍ
لا أراه.

هكذا كل ليلة

جثث في ثياب الخروج

إذ أعود وحيداً
بصحفٍ ومعلّباتٍ،

أسمعُ هاتفه وأبكي
أبكي على الكنبِ
حتى أنام.....

أحلم أن الحزنَ يوقدُ من شجرٍ
وشعر حبيبات.

أسمع سحرةً يطهون وصوت قُدُورٍ
وأفكر في جاري كأنه معهم

لماذا لم يعد يا الله؟

جنت في ثياب الخروج

لم يعد يشعلُ أرجيلته
أو ينسى إبريقاً كعادته
يصيح

ترك سعالاً يَضمُرُ
على الدَرَج

أثاثاً جديداً

وهاتفاً يتشَلَّ قلبه

كل مساء

جثث في ثياب الخروج

فجأة

الليل اندلق طويلاً على المفروش
وآخر طاولةٍ تغمض
لا تؤلمها المرافقُ المغروزةُ
منذ ساعات.

فجأةً، إذ ينزعان مرافقهما
من الليل:

الخشبُ كظيظٍ من الندى
والشمعةُ
قوائمها في الهواء

عتبة

في منامهم

لا يدرون طوال القلب
كم أنفقنا من عتبات

ولا أيضاً
كم سيكون مؤلماً
ألا يصل إلينا الأهل.

فقط...

لأننا من شدة انتظارنا
جلسنا على نظرة لهم بالخطأ

جثث في ثياب الخروج

وانتظرنا..

ثم لم نرهم

وامتلأت أعينهم

بجثث في ثياب الخروج.

خزائن

هكذا أفترشُ حافةَ ليل
مدلياً أخمصين في هواءٍ جارح
ظهري أربعٌ وعشرون خزانةً
كلما فتحتُ خزانةً
سالت عصافيرَ كسيحة

من يمنحني سماءً قانيةً
تكفلُ يتمَ هذا الغبار
من يمنحني جرحاً
..... لأطير؟!!

صوف

أعمى أراهم يفتحون أكرة الفجر
خفافاً في الممرات اليابسة
يقسمون ماءً وأجنحة

أعمى أشيع ساحلاً يجرّ ظهره
.... بكاءً مقتولاً هنا بمهارة
.... وحناءً مخنوقاً أسفل
في شرشف صلاة بارد

أعمى أصرّ أحلاماً معروقةً بيدٍ
وأفتح أخرى لصديقٍ
يضغطُ عليها بما يكفي

جنت في ثياب الخروج

ليطيروا

أَرْشَحُ أَرْشَحُ أَرْشَحُ أَرْشَحُ
.... ألا تتعب أيها الصوف؟!

جثث في ثياب الخروج

منارة

الوردة التي فطمت جيداً هذا الهواء
الجوع الذي يمدُّ رأسه
لا يقودان هواءً أعمى
إلى غرفةٍ رطبة

لمن إذاً
كل هذا البلاط الدبق بريش العصافير الفارّة
والسبابات المعطوبة
..... إن نسيّت النافذة؟!

جثث في ثياب الخروج

صباح جبري

إطلاقاً
لم أشأ إيقاظك.

الورقةُ عنوةً
سقطتُ على البلاط.

الورقةُ التي ينامُ
في آخرها

اسمك!

جثث في ثياب الخروج

سطو

مسّهم الشفقُ
حتى خمشوا الهواء.

غلاظٌ هبطوا في النوم.

شمّوا عقب نظرةٍ
على الإفريز
فاقتلعوا الشبابيك.

لمحوا دخانَ أحلامٍ
يعالج غيوماً في السقف
فاحتملوا الأسقفَ

جئت في ثياب الخروج

والمياه.

تركونا غرقاً منهوبةً
في السطح.

نفكرُ

أين ذهبوا بالنظرة
ماذا فعلوا بالمياه؟!

جثث في ثياب الخروج

ثقابٌ في عينه

لا يعرفونه إلا من عينه
من اليد التي في عينه تلمع
ومن ذهبٍ غائرٍ في العينِ إذا ضحك
الأعرج الذي فتح داره للبحر.

قاطع الحنين

الأعرجُ مثل شمعة.

سقطتُ من حلمٍ عليه امرأةٌ
فانكسر

جثث في ثياب الخروج

وطأ بعرجته السلالَمَ والبحر
والقدمُ المرضوضةُ صارتُ
أسرعَ من دعاءِ أمه

الأعرجُ صائد النيات

ذو العين الغاربة

المطلّي سنواتٍ بالذهبِ وحطامِ السفنِ الثرية
تسحبه الخرائطُ إلى البحر
ولا تدركه النساء.

في عينه يدٌ تلوّح من سنينَ
ولا تتعب.

جثث في ثياب الخروج

يَدٌ طَيِّبَةٌ تَلَوِّحُ مِثْلَ مَنْدِيلٍ

يَدٌ مَجْلُوبَةٌ مِنَ الْبَحْرِ
فَقَدَّتْهَا صَاحِبَتُهَا عَلَى الْبَحْرِ

هكذا قال:

أَيُّهَا يَدُ تَلَوِّحُ لَا بَدَّ لَامْرَأَةٍ كَانَتْ عَلَى الْبَحْرِ.

يَدٌ فَجْأَةً بَكَتْ فِي عَيْنِهِ

وَذَهَبَتْهَا

غَسَلَهَا مَرَارًا وَصَوَّبْنَهَا ذَاكَ الصَّبَاحَ

وَمَا امَّحَتْ

مِنْ يَوْمِهَا زَاغَتْ عَيْنُهُ

أَحَبَّ الْأَمَاكِنَ الْعَالِيَةَ

وصار ينظرُ إلى النساء
ويطيل

صار يصعدُ السلالمَ والصواري
يتشوف

صار أبا فجأةً
وهمَّه اليد التي تربت في سوادهِ
وملَّحت عينه

يبصرُ المرافئ والنساء والأطفال
ولا يرى التي بيدٍ ناقصةٍ
معهم

يفكر أنه احتفظ باليدِ أكثرَ مما يجب

جثث في ثياب الخروج

أن صاحبتها ربما ماتت
من البحر والجوع ونقص التحية

طويلاً يطالع النساء من البحر
فجأةً، لطول ما نظر،
صار للمنتظرات كلهنَّ أيدي ناقصة

يفكر أن واحدة فقط
واحدةً منهن ستشبه لو أشعل (النار) في نفسه
الآن

وأن الأهل في غدٍ
سيخرجون من غرفته

جثتين

النبته

كلما طالت النبتةُ
أدركنا خطأ الوالدة.

كنا نفقدُ وجوهنا بالتدريج
والتينةُ التي كانت دائماً
خلفنا
كانت مثلنا مرشحةً للفقد.

قبل أيامٍ اضطرَّ الصغار للقفز
مثل جناب في الحديقة
وظهر غصنٌ مكان ذقنِ الوالدة.

جثث في ثياب الخروج

وأمس

ظهرت أغصانٌ تقطرُ مكانَ عينيها
(كانت توضأت تواءً)

.....

أساساً

كان خطأً تجاهلُ النبتة
وتثبيت مرآةٍ على الجدار
أعلى قليلاً منها

صرنا لا نرى وجوهنا
في الحديقة بعد الضوء:

لا التينة

ولا وجه الوالدة

جنت في ثياب الخروج

صار لنا جميعاً الوجه نفسه:

النبته دائماً في المرأة!!

جثث في ثياب الخروج

كَأَنَّهُ اللهُ

كَأَنَّهُ اللهُ
أَلْقَاكَ فِي الْمَاءِ

أَلْقَاكَ فِي سَلَّةٍ
فِي الْمَهْدِ وَدَلَّكَ

بَعْدَكَ

بَعْدَمَا رَسَتْ السَّلَّةُ

لَمْ يَزُرْ بَيْتَنَا أَحَدٌ
وَلَمْ نَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ

كان الحيّ كله على الماء

والنسوة عقمن فجأةً وصعدن؛

صوّبنَ نظرةً من الأسطح
عليك

كنتِ جريحةً وتكبرين

تكبرين في السلّة
وتسدّين العتبة

أرضعتكِ نظراتنا في الغيبِ
ونمتِ لم نوقظك

جثث في ثياب الخروج

نمتِ حتى صرّتِ عتبة البيت

كنتِ تكبرين في السلة

تتعرّفين على السماء

والأمهات

وأنا لم أعرف أحداً سوى البيت

كبرتُ في غرفةٍ ولم أعرفُ

سوى البيت

بيتي الذي فجأةً تلفتّ

وكان وحدهُ على الماء

تُخدرين الشاي والروح

بالشرشف العُنَّابي ذاته
الشرشف الرهيف المنقط
البارد دوماً

تؤوين بردَ البلاطِ بما يتشققُ
من كهوف الأخصمين

واقفةً
تدوِّخين السكرَ والصلاة في إبريق

* * *

جثث في ثياب الخروج

وقت تسوقين حديدَ الملعقة
ليخدشَ هدأةَ المعدن

تحرّرينَ أغلالاً راسبةً لتطير

وبينما رنينٌ دمتُ يفركُ الهواء
يسفحُ الماءُ أعطافه
هادراً كحنين

ربما المرامية تنفضُ روحها الآن
أو ربما تمسّدينَ أعناقَ حبيِّ
يألفُ بريةَ أصابعك
الأصابع ذاتها التي تغمسه في الحميم
ليضلل بدمه ما اعتكر من دمٍ
أو ليعالجَ الراشف ما يطلع

من شياطين.

وإذ تنتظرين كظلٍ

- ترجمين الوحشة بغناءٍ وئيد -

يطفو زبد آخر روح قصية

وبينما تحرسين هلاكٍ لهبٍ ضال

تغورُ وئيدةً رغوهُ الغرقى

كما سخطكِ الفالت علينا

أيضاً

تهبطين الآن

ليرشفوا "دم غزالةٍ" أطلقتهَا

في الفناجين

لتدوِّخَ شياطينهم

جنت في ثياب الخروج

كما لتعلّقي نظراً قصيراً
هناك يومض

حيث تخدّرين الروح

حيث تخدّرين الشاي والروح

يغطون في الموج

يَغطُّونَ في الموج.

لا أحدَ

يلحظ ساحلاً أصابته السماء

أو خرقت ظهره

نجمة رطبة.

لا أحدَ

بسكينٍ فاكهةٍ

يفصلُ رقبةَ النوم.

يَغطُّونَ في الموج

ولا أحدٌ سيهتم

جئت في ثياب الخروج

لو لم نجد الساحل غداً
ووجدنا ورقةً
على السرير.

أحياناً

مراتٍ حين أضلّ الندى
ويكون اليأسُ لحماً ناشباً
في النواجد

ربما كنتُ أرسمُ اسمكِ
ساحاً فوق السطر
ساقطاً تحته
مكوماً
أو مشدوداً بطريقةٍ مؤلمةٍ إلى بعضه

تهمني يدك الصغيرةُ
أعتذر

جثث في ثياب الخروج

ريحك في قميص هذا الفجر

ريحك في قميص هذا الفجر

إنها تمطر الآن
ويكفي أن أفتح النافذة
لأراهن على خروجك
أيضاً حافية.

أراك شجرةً على البلاط
وأسمعُ خفقَ رجلِك.

المطرُ امتلأ بك
والسمكُ المربوطُ إلى شعرك

يتحرّكُ ساحباً قلبك بقوة
في المحيط.

إني أجد ريحك:
عقرب المطر يشيرُ إليك

المنبه يرنُّ في غرفة المسافر
من سنين

وأنتِ تضربين برجلك الماءَ
والبلاطَ تحاولين القفز.

الحنين سيرفعُ الآن أسرع
المطرُ مغناطيس يسحبهم إلى النوافذ
والأسماء على الحيطان تبتلّ وتتذكّر

جثث في ثياب الخروج

أسرعي قبل أن تخافَ امرأةً على غائبٍ
أو ملابسٍ منشورةٍ من الليل

انزلي:

فالحَيِّ كله على الشبابيك

.....

طرتِ أيتها المجنونة!!!

والهاتفُ رنَّ طويلاً هذا الصباح!

يكبر هذا البكاء

دائماً يخفيك الشارع الصغير.

ناسيةً عقباً أبيضَ

في الصندلِ

يجلس يضيء

يجمعُ الصغارَ والشياطينَ

وفرشَ الواجِهاتِ الحجرية.

دائماً تمضين قبل المغرب

غير ناظرةٍ

جثث في ثياب الخروج

إلى ماءٍ حارٍ في الشرفة
واخضرَّ شاربه لمحاً
لحظةً ملتٍ في البيوت

الماء اخشوشن صوته
في الظلّ
كبرَ الآن
وربما يدك لا تقوى

الآن اخشوشن صوته
والنسوةُ يدين لو مرّ

لكنك دائماً تمضين

يدك مكسورٌ ضوءها في النهر

جنت في ثياب الخروج

والماء لا يفرزها.....

إذ أتعبه الضوء هذا الماء

.....

يصيدُ نفسه

جثث في ثياب الخروج

ليل

غرفُ السماءِ لا تسعُ الوحيد
ولا الليل يقدرُ أن يلمّه

ومثلما الحزن شعاعٌ
لم تمسسه فراشة،

فكّرت أن القمرَ دمةٌ جمدت

ومرايا فاضحة،

وأنه يكفي أن تصعدَ السطح
تماماً قبل الدّيقة

جنت في ثياب الخروج

لترى مع من تنام

حبيبة تركتك

جثث في ثياب الخروج

نساء بعد سنين

بعدما تركنا لفافتك في المقبرة

سنواتٍ أنفقنا
نفكر في أشواق غامضةٍ
تصدرها حقيبتك في الليل

سنواتٍ نتخلص من وجهك
مع بولٍ منتصفِ الليل؛
مهملين الدبيبَ الهائل
لدوبيباتٍ عظيمةٍ
في الخزانة

بعدك حلمنا بعيونٍ وفواكه
كان يوقظنا البولُ منها
وجفافُ الشفة

حلمنا بلصوصٍ
في حقيبتك التي تركت
ولم يكف الوقت لنخاف

نبتسمُ، لا نربكهم
كنا
نخطفُ شربةً
وننام

سنواتٍ

جثث في ثياب الخروج

حتى البارحة أفقنا
على تكةٍ تخلقُ الباب

ونساءٍ يهرولن إلى المقبرة

سمكة

وضعت قرطك في كأس
وكلما أجاؤني الدمعُ إلى البحر
انتبهت:

شربتُ منكِ
وآواني الذهب

بالأمس شربتُ
وحلمتُ بسمكةٍ ذهبيةٍ
تخبُّ في القلب

وضعتُ قرطكِ الآخر

جثث في ثياب الخروج

على روايةٍ تحبينها
لتؤنسكِ في الغيب.

وها ألصقه بهذي الورقة
عارفاً أن السمكة
ستلمسُ فمي في النومِ
وتعود

نافذة

طوال سنتين
لم ألمس النافذة

طوال سنتين
كنت أكتفي بتخيل السماء من غرفتي

وأشمّ دعاء أُمّي يتصاعد
كدخانٍ استغاثة

الحمامةُ التي بنت عشّها
منذ سنتين لم تتركه

جثث في ثياب الخروج

وتركتني خائفاً من فكرة الفتح

لدرجة أنني لا أعلم إن كانت

ما زالت على الإفريز

أم لا

وهل هي - التي تحبسني الآن -

الحمامة ذاتها التي خفت عليها

قبل سنتين؟

أخافُ في الوقت الذي أفتحُ فيه

نافذتي

أن تكونَ السماء التي انتظرتُ

صارت جناح حمامة

يدك الصغيرة

في القاعة

وسط سرب أيدٍ

ومطرٍ رتيب

ترفُّ يدك الصغيرة على الكتاب

فترنَّ أساورك

وتلمع في سهوب روعي

مع رعاة اليأس.

يدك الملوثة بجبرٍ ينام في القطن

جثث في ثياب الخروج

يدك المجروحُ خنصرها،

تنتابني في النوم

وتفرشُ

في القاعةِ الصغيرة

سجادةً طويلةً

من صمت.

في الليل

لو يجيء الموت ضحى

حيث الساكنون تركوا شايًا باردًا
في الفناجين
والمقابض بردت من غياب السابعة

لو يجيء ضحى
على رؤوس أصابعه
خاطفًا قبلةً على سرير بارد.....

سيبدو الأمر
مثل تقبيل جثة

جنت في ثياب الخروج

في الفورمالين.

ليأخذني الموت إذاً
في الليل

لحظة أحلم بك

نصوص الممر

(1)

تنورتك الحمراء
تصبغ كريات الدم
وتنقل الأكسجين والورد

تنورتك القصيرة
التي تطيل الأمل

تفتح أبواب السأم

جثث في ثياب الخروج

تدخلين كل مساء

من أيها شئت!!

(2)

ذيلُ الحصان
مرّ خطفاً على وجهي

تاركاً رائحةَ شعرها
فخاً لهذا المساء!!

(3)

ستتقبُّ قلبه الليلة
بكعبها الطويل
حين تذرُّ الممرَّ
الذي لا ينتهي.

جنت في ثياب الخروج

فيما اليأس يرنّ
على البلاطِ ويلمعُ
كدبوس!

(4)

في هذه المدينة
الأحلامُ كالخبزِ
مدموغةٌ بتاريخ!

لو أن تلك القصيدة لم تعجبك

حين تأتي النوبة أضغطُ على خاصرتي بقوة
مفكراً أنني لو لم أكتب تلك القصيدة قبل عقدٍ
لربما كنتُ أكثر شباباً مني الآن

لو أنّ تلك القصيدة لم تعجبكِ حينها
لربما كنتُ فعلتُ شيئاً آخر في العقد الفائتِ من
حياتي سوى أن أطاردكِ بلا طائلٍ

كصيادٍ يطاردُ أَيْلاً في متحفِ التاريخ الطبيعي

وهكذا أفكرُ كيف سيكونُ فيلمُ حياتي

جثث في ثياب الخروج

لو أن الله منحني عشرَ سنواتٍ بمعزلٍ عن برادة
صوتك وعينيك:

كنت سأبدو أكثر شبهاً بأبي بعد أن يطفئ الله
جيناتك المعلقة في دمي كعقدٍ مصابيح

كنت سأسافرُ وحدي دون امرأةٍ تخاصرني
بصورةٍ افتراضيةٍ وترسلُ ظلها ليحرسني من
أذرعِ الجميلات في وهادٍ سان فرانسيسكو

كنت سأكتبُ في المدائن التي أنزلُ بها عن امرأةٍ
عابرةٍ كل مرةٍ كما يفعلُ على عجلٍ رسّامو
الشوارع وقطارات الأنفاق

جثث في ثياب الخروج

كنت لن أتناول قهوتك بالبندق لسنوات ولن
أصاب بحصيات في الكلية إثرها تتركني ممنوعاً
من البندق ومشروبات تقوية الأمل

وكنت سأتمكّن من النظر إلى البئر القديمة في
عيني أُمي حين أزورها دون أن تنسفها في كل
مرة عيناك المغروztان في عيني

في عشر سنوات كما تعلمين يمكن أن يفعل
المرء أشياء كثيرة:

مثل أن يبدو طبيعياً ويتحدث كالخلق عن
السياسة وخفايا الأسرة المالكة وأميرات الشرق
في المنافي وطفولة ستيف جوبز ومؤخرة كيم
كاردشيان التي يتحدث عنها كل الرجال الذين لم
تجمدهم عينك

ومثل أن يكون للمرء أصدقاء يتسكع معهم نهاية
الأسبوع في بهو الفنادق الفخمة ليتحدثوا عن
الثورات والتنانير القصيرة لزميلاتهم في البنك
الفرنسي

مثل أن ينشر كتباً تافهةً من مقابلات نارية كان
أجراها مع أشخاص من قش وأقمشة مفبركة

مثل أن يعتني بعضلات جسده قليلاً ويجمع

جثث في ثياب الخروج

المزيد من قمصان رالف لورين ولاكوست
وبيربري

مثل أن يلمع نفسه في الصحف بواسطة
أصدقائه النافذين الذين أضاعهم دفعة واحدة
حين فجأة التفت إليك

مثل أن ينام مبكراً ليطرد كل الحبيبة المغشوش
وبنات نعش من عينيه

مثل أن يجري تلك العملية السرية في جسده
التي قيل إنها ستجلب له الحظ

مثل أن يلحق بتكبيرة إحرام الصبح كي يقر
بصر الوالدة الذي يطارده السكري

الوالدة التي لا تزالُ تقصُّ على الملكين بعد
الفجر أمنيّتها بولد يؤتية الله الحكمةً لتبزُّ به
شقيقاتها اللاتي اعتدن تفريخَ القضاةِ ومفسّري
الأحلام

ولكن عشر سنوات يا سيدتي من الانشغال
بعينيك لم تترك لي القدرة على إنجاز شيء
سوى لفّ المزيد من سجائرِ الندمِ والنصوص
الرديئة التي صرْتُ أكتبها منذ تلك القصيدة التي
أعجبتك.

جثث في ثياب الخروج

انتظار

من محلّ الوردِ
المقابل للمقبرة
يشتري ورداً
لا يعرفُ لمن
وينتظر

جثث في ثياب الخروج

غسيل

بشفةٍ مسمومة

أقبل الأطفال

وأمضغُ تبغَ الندم

مصفراً

للعناكب التي تزنرُ الهباء

في البيت

جئت في ثياب الخروج

والزوجة التي تمدّ حبلَ غسيلها

من عنقي

كلّ صباح.

المحتويات

7	امشي حافية كي تدب الطمأنينة في عروق الرخام!!
13	مأتم
15	صوتك الذي
18	مياه
21	شفاء
23	لو أن
25	المرأة التي تتقن البحر
27	الندى
29	صلاة
31	ذئب
33	أبد
34	عيار
36	مدرك الركعة الأخيرة
39	غنائم
40	جدار طوال الليل
42	يلزم تضميدها أولاً
45	صيد
46	الرجل الذي له رائحة التفاح
48	هاتف

جثث في ثياب الخروج

51	فجأة
52	عتبة
54	خزائن
55	صوف
57	منارة
58	صباح جبري
59	سطو
61	ثقاب في عينه
66	النبته
69	كأنه الله
72	تُخدرين الشاي والروح
76	يغطون في الموج
78	أحياناً
79	ريحك في قميص هذا الفجر
82	يكبر هذا البكاء
85	ليل
87	نساء بعد سنين
90	سمكة
92	نافذة
94	يدك الصغيرة
96	في الليل
98	نصوص الممر
101	لو أن تلك القصيدة لم تعجبك
107	انتظار
108	غسيل